بسم الله الرحمن الرحيم

تقـــــديم

يحاول بعض المشتغلين بالسياسة فى المجتمعات الإسـلامية المعاصرة ، وبعض الكتاب فيها ، اقتداء ببعض المستشرقين : أن يضعوا أمام الرأى العام الإسلامى فى حاضره ــ وخاصة أمام الشباب ــ أن الإسلام دين علاقة خاصة بين الله والإنسان ، وليس دين دولة .. وليس ديناً لسياسة مجتمع .. وليس منهج حكومة وقيادة سياسة فى مباشرة توجيه الأفراد فيه ، وفى علاقة المجتمع بمجتمع آخر عداه .

لكن القرآن عندما يتحدث عن خلق الإنسان ، وخلق ما يعينه على المعيشة فى الحياة الدنيا من حيوان ونبات ، يتحدث عن خاصة « الزوجيـة » فى الذكورة والأنوثة فى الإنسان ، والحيوان ، والنبـات ، فيجعـل لها هدفاً مشتركا بين الأنواع الثلاثة ، وهو الكثرة والزيادة العددية فيها . بينـما يضيف فى جانب الإنسان وحده إلى هذا الهدف المشـترك : هدفا آخـر خاصاً به ، هو هدف قيام المجتمع البشرى وتحقيق أغراضه . فيقول فى شأن هذا الهدف الخاص بالإنسان : « **ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم ازواجاً لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ، ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون** » (١) فالزوجيـة مـن الذكورة والأنـوثة فى خلق الإنسـان اسـتهدفت بصفة خاصة الاستقرار بين الأفراد ، ومودة بعضهم لبعض ، ورحمة القوى منهم للضعيف فيهم . ومعنى ذلك : أنه هنـاك وراء الكثرة العـددية من الزوجية فى الإنسان : معنى اجتماعياً آخر لا يوجد إلا فى النوع الإنسانى

---

(١) الروم : ٢١ .

وحـــده ، وهو معنى يجب أن يتحقق . وإلا عاد النوع الإنسانى شـــبيهاً بالحيوان والنبات من كل وجه ، غير مميز عنهما .

ففى حديث القرآن هنا ما يوجه إلى المجتمع وقيامه . والمجتمع الإنسانى إذا كان هدفا لخلق الله الإنسان ، فإن رسالته جل شأنه إذا اتجهت إلى الفرد فى صياغته الإنسانية عن طريق تكليفه بأداء العبادات ، فلكى تعده إلى الملاءمة الاجتماعية التى تحقق قيام المجتمع ، وبالتالى تحقق السكنى ، والمودة ، والرحمة بين الأفراد .

أما حديث القرآن عن زيادة الكم فى الأنواع الثلاثة عن طريق الزوجية أو التقابل فى الخلق بين الذكورة والأنوثة ، فهو يذكر هذه الغاية المشتركة فى الإنســـان والحيـــوان فى قـــول الله تعالى : « **فاطر السموات والأرض ، جعل لكم من أنفسكم أزواجا ومن الأنعام أزواجاً ، يذرؤكم فيه ، ليس كمثـــله شىء ، وهو السميع البصير** » (٢) ..

ويذكرها فى الإنسان والنبـــات فى قوله :« **سبحان الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون** » (٣) ..

ويفصـــلها فى النبات فى قوله :« **الذى جعـــل لكم الأرض مهداً وســـلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماءاً فأخرجنا به أزواجاً من نبات شتى . كلوا وارعوا أنعامكم ، ان فى ذلك لآيات لأولى النهى** » (٤) ..

كما يفصل هـــذه الغـــاية الكميـــة فى دائرة الإنســـان ، فيما جاء فى ســـورة النحل : « **والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفـــدة ورزقـــكم من الطيبـــات ، أفبالباطل يؤمنون وبنعمـــة الله هم يكفرون** » (٥) ..

والقرآن بدعوته الإنسان إلى تحقيق المجتمع الإنسانى فإنه يدعوه إلى أن يكون حضارياً ، لا يقف بمجهوده ، وسعيه عند حد الكم وحده . وإنما يتجاوزه إلى النوع ، والنوع المنشود هو ما حدد مظاهره هنا : من السكنى .. والمودة .. والرحمة .

---

(٢) الشورى : ١١
(٣) يس : ٣٦
(٤) طه : ٥٣ ، ٥٤
(٥) النحل : ٧٢

وهكذا : الإنسان فى نظر القرآن حضارى . وحضارته فى الدرجة الأولى حضارة إنسانية . قد تصاحبها حضـارة له مادية أخرى إذا فقد حضـارته الإنسانية التى تقوم على القيم الإنسانية الرفيعة ، كالاستقرار ، والمودة ، والرحمة ، فإنه يفقد فى الواقع الخاصة التى تميز بها عن الحيوان والنبات .

فالإنسان حضارى . والمجتمع صاحب الروابط الإنسانية هو مجتمـع حضارة ، والدعوة إليه دعوة إلى الحضارة الإنسانية .

* * *

وكتاب : « القرآن ــ والمجتمع » .. يقدم للقارىء من القرآن الكريم : الظواهر الاجتماعية العـامة التى تصاحب أى مجتمـع .. وطابع المجتمـع الإسلامى الذى يحقق الروابط الإنسانية وبالتالى يحقق المجتمع الحضارى .. وقيادته التى تتجاوز فى سـياستها مرحلة المراهقـة .. وعلاقتـه بالمجتمع اللاحضارى ، أو المجتمع الجاهلى أو المادى ، ليكون على بينة من الجوانب الاجتماعية العديدة .

وما يقدمه هذا الكتاب للقارىء من القرآن الكريم ، خاصاً بالمجتمع البشرى ، يطرح أمامه سؤالين :

● السؤال الأول : هل ما يذكره القرآن هنا فى شأن المجتمع مستفاداً من واقع الحياة العربية على عهد الرسول عليه السـلام ، أم أنه منبثق من خصائص الطبيعة البشرية ؟ .

● السؤال الثانى : إذا كان ما يذكره القرآن فى شأن المجتمع هو تعبيراً عن خصائص الطبيعة البشرية ، وبالتالى كان وحيا من عند الله ــ وهو كذلك ــ لماذا يغمض رجال السـياسة وبعض المفكرين من المسـلمين وغيرهم . عيونهم عن أهمية ما جاء به القرآن للإنسـان فرداً أو مجتمعاً ؟ . هل ذلك يرجع إلى المادية التى أوشكت أن تسد جميع النوافذ على روحية الإنسان ، وعلى دعوة الإسلام ؟

* * *

إن هذا الكتاب يأمل أن يقدم للشباب ما يساعده على أخذ نفسه بمنهج إسلامى يقوده إلى سكنى نفسه فى صراعهـا الداخلى ، وإلى مودتهـا مع الآخرين فى مجتمعهم ، وإلى أن تسود بينهم الرحمة . فوضع أى فرد لا يدوم فى هذه الحياة . وما يقدمه اليوم للآخرين قد يقدمه بعضهم إليه فى غده عند الحاجة إليه . والله ولى التوفيق .

مصر الجديدة فى ١٤ من جمادى الأولى سنة ١٣٩٦

١٤ من مايو سنة ١٩٧٦

د. محمد البهى

* * *

obeikandl.com